ما بين السطور

خواطر

بطاقة الكتاب:

اسم الكتاب: ما بين السطور.
اسم المؤلف:إسراء حمدي.
نوع الكتاب: خواطر
عدد الصفحـات: ٦٣ صفحة
المقاس: 14x20
رقم إيداع: ٢٠٢١/٥٦٧٩م
الترقيم الدولي: 978-977-6736-63-4
الطبعة: الأولى، ٢٠٢١م

رئيس مجلس الإدارة

مها المقداد

للتواصل والطلب من داخل أو خارج مصر:

00201033966291-00201129195867

الغلاف والتنسيق الداخلي والمراجعة

فريق دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

أقر المؤلف بأنه وحده صـــاحب الحقوق الفكرية للكتاب، وأنه يضـــمن للناشـــر عدم التعرض من الغير بخصـوص الملكية الفكرية, كما صـرح أن هذا الكتاب ليس في مضـمونه ما يمنعه القانون، وأن الآراء والأفكار التي يتضـمنها محتوى الكتاب تعبر عن فكر المؤلف فقط ولا يعبر عن رأى الناشـر، ولا يوجد داخل الكتاب نقل أو استعارة بما قد يعرّض الناشر للمسؤولية القانونية.

ما بين السطور

للكاتبة

إسراء حمدي

فريق العمل

دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

تصميم غلاف : إسلام عبد الحليم
اخراج فني "تنسيق": أمل النجار

دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع-مها المقداد

+201289024055

Mahaelmukdad@gmail.com

ما بين السطور

للكاتبة

إسراء حمدي

إهداء

في البداية فأني أشكر الله على فضله وعطائه المستمر، الذي يمَّن عليّ دائمًا وما زال يرزقني بالخير رغم تقصيري، فالحمدلله على ما كان وما سيكون عددَ الحركات والسكون..

أما بعد..

فأنا أُعطي إهداء كلماتي هذة للغائب واقعًا الحاضر قلبًا، لمن عجل الله له بالذهاب إليه، لمن تركنا ولكن دام خالدًا مُخلد في قلب حفيدته، السلام عليك يا جدي، والسلام عليك في قبرك، والسلام لقلبي والسكينة له من بَعد أثر فراقك بداخله..

وأُهدي كتابي كله لمن كان لهما الفضل بعد فضل الله عليّ، لمن كانا سببًا لكتابة كتابي هذا، لمن كان وسيظلان دعمًا وروحًا

وعكازًا أستند عليه لا أميل البتة، أبي وأمي، فاللهم بارك لي في عمرهما ودِمهما لي بكل خير..

وإلى أخواتي جميعم، بأنهم أول من مدوا لي يدَى الدعم والقوة بأن أستمر ولا أخشى قول أحد، دمتم في حفظ الله وكنفهِ..

إلي صديقاتي جميعهن واحدة تلو الأخرى، الأقرب فالأقرب لي، والأقرب قلبًا وقالبًا رفيقة دربي وظلي الثابت، نصفي الذي لا أكتمل بدونه أبدا..

كنتم خير دعم، وكنتم سببًا أيضًا لوصولي لهذة النقطة، أنتم في الواقع أصدقاء ولكن أخوة بالقلب والمعيشة والحب والمساندة، أحبكن بقدرٍ هائل لا وصف له..

إلى من قرأ لي وساند روحي وأنارها بكلمة، إلى من انتقد كتاباتي نقدًا إيجابيًا ليُخرجني من عتمة القاع لنور القمة -بإذن الله- إلى من كسرَ بحلمي وقلل من كلماتي وأخلق الندابات الحزينة بقلبي، أشكركم جميعًا وأُهدي لكم كتابي فأنكم كنتم دعمًا لوصولي

وأساسًا لتكملة خطواتي، كنتم البناءِ لروحي، الهادم بكلماتكم، اليوم تمسِكُ كتابي هذا، ولتحدثكم كلمات أنشائتها السطور، ولتروا معي

ما يبو ح به وجداني، ولترىٰ ما خلف أحرُفي في ما بين السطور..

***

المقدمة

ما بين السطور، جميعُنا نجهل أو نترك دائمًا ما بين السطور، نُدرك أن ما فيها يصعُب الإتيان به، نعلم أن ما بين السطور، يُظهر الخفي الذي لا نراهُ بالعين المجردة، ولا يُحبذ لنا أن نراه، ولكن في كتابي هذا سَتجِد كل آنينك الصامت، حروفك المبعثرة، تيهة مشاعرك المتقلبة، سَتجِد السرد الأقرب إلى قلبك، ما بين الحقيقة والخيال، ما بين ظهورك الذي تبدِيه بأنك بخير، وبين ما تخفيه في صندوق مشاعرك الخاص بك، ما بين السطور سَتجِد انجذاب روحك لكلماتي، هدوئها بعد تَسلسُل عالٍ من الموجات، ستُخاطب كلماتي روحك المتألمة، سَتُعالج ندابات قلبك المتكررة، سَتجِد ما بين السطور الكتاب الأمثل لِمَا تريد قوله ولكن لم تَبُح به، سَتجِد ما بين هذا وذاك، فأقرأ معي بكل استحضار روحك وقلبك ما سوف تَجِدُه في ما بين السطور...

يقولون أن المُتألم عندما يُبوح عن وجعه يُبدع في إظهاره، بحيث تصل لك كلماتي على هيئة ندابات صغيرة كادت أن تخترق جدار قلبك لتسكُن!، وكيف أبوح عنها؟

كيف أصف لك تجسيد كلماتي الهاربة، كيف أصف لك اهتزاز قلمي عند الخط به؟، كيف أُهيء لك حالتي النفسية التي أعيشها بصفاءِ ذهن وترتيبٍ مُحكم، لا أستطيع الكتابة، لا أستطيع أن أجعل نصوصي تجذبك نحوي، لا أستطيع أن أجعلها تَعبُر إحكام روحك وقلبك المُنغلقان، لا أستطيع أن أجعل سردي كصورةٍ مجسدة تجول في خاطرك، وكيف بسردي!، هل هو مُتناسقٌ سلس الوصول؟، لا أعلم أيضًا من أين أتت كل تلك الكلمات لأكتب بها، هل تشفقُ على حالي فأتت لمُعانقتي!، هل تسمع صريخ قلبي الصامت، آنين روحي المضطربة، هل تعيش في عالمٍ مليءٍ بالضجيج الداخلي فحاولت بأن تهرب فزعةً من هول ما رأت!، لا أعلم.. أنا لا أعلم.

الحُزن يسود قلبي، يسكُنه، لقد أصبح سيدًا الآن، لقد تويجَ على العرش ليتحكم، كنت أتمنى أن أُبوح عن حُزني بشكلٍ يليق بمقامه، أردتُ أن أبوح لك بحالتي يا سيدي ولكن.. لقد فشلت أيضًا في جعل كل هذة الكلماتِ نصًا تسترق له روحك ويأنس بهِ وجدانك، حاولت التعبير ولكن فشلت.

فحاولت الكتابة بأن تشفق عليّ لتهدأ روحي، ولكن أبكتني.

إسراء حمدي.

***

الإهتمام

شعورٌ يُلامس القلب بالأمان، يسبق الحب بخطوة، يَعقُبه؛ الاهتمام صفة من صفاتِ الحب والعشق، أساسهُما، يميلُ القلب له وتستجيب الروح وتخضع، وتصغُ له الأذن، يَشعُر به المحب وغيره، شعورٌ يَطغىٰ على الفكر، نحتاج إليه جميعنا، فالاهتمام إثرىٰ كلمة، موقف، أو شيءٍ لم يَكُن في البال والخاطر وقد حدث، شيءٌ -أيًا كان ما هو- تتحاكىٰ به مع ذاتك، ومن ثَمَ تجد فلانًا يفعله أمامك ولأجلك، كل هذا يندرج تحت مسمى « الإهتمام».

مثل: اهتمام صديقك لك ودعمه وقت حزنك أو فرحك ومسنادتهُ لك، اهتمام أهلك وذاويك بأمرٍ يَشغل بالك وتحلم بتحقيقه فيدعمانك فيه، اهتمام زوجك أو شريك حياتك لأمرٍ يخصك مهما بدى صغيرًا...

فالحياة تقسو على الجميع؛ نَهب مثل مهب الريح فينا فنفقد كل الجنون، الشغف، والمرح الذي رُزقنا به، نحتاج وقتها إلى من يُطبطب على قلوبنا وليس فقط أكتافُنا، نحتاج من يقول لنا صباح الخير ويشاركنا تفاصيل يومنا باهتمامٍ كامل وبكل أحداثه وثغراته، نحتاج إلى من يعرف أننا لا نحب هذا

بل نحب ذاك وإذ به يُنصت لمَ نريده وما نحتاجه ويأخذ بأيدينا إليه بكل حبٍ وود.

الاهتمام: شعورٌ أكبر من الوصف، من التعبير عنه مطلقًا، يختلف من شخصٍ إلى آخر ومن شعورٍ لشعور، أنه الدرجة التي تَصِلُك إلى الأمان، والأمان هو آخر درجات ويقين الحب، وجود شخص يهتم بك وبتفاصيلك الصغيرة التى لا ينطق بها الفم ولكن يتحسَسُها القلب، هو ذاك محض الاهتمام ومركَزه.

فارزقنا اللهم قلبًا يهتم بنا ويهتم لنا ويُخرجنا من ظلماتِ قلوبنا الداكنة إلى نور الدنيا والرضا المتكامل، وبفرحةٍ قربهِ اللطيفة لنا، ولسعادتنا بدعمه ومشاركته، والقرب منك أيضًا رباه.

***

الاحتواء

نحتاجُ من وقتٍ إلى آخر من يقول لنا أنا هنا.

من يَرتَب على كَتِفَنا ليُمطَئنِنا، من يَفهُم حديثنا الصامت ولعنة التفكير المُقيمة بداخلنا، من يتلاشى منّا كل هذة الصفات ويبقى فقط بجوارنا، يُسَنِدُنا، تلك اللمسة التي هي بمثابة السكون، الهدوء، الكلمات الصامتة والشعور الهاديء، فأنهم يتحدثون ويقولون: «كأن القلب في كفِ اليد».

نحتاجُ من يكون لنا عونًا وسندًا نتكيء عليه متى إرادنا ومتى وقعنا.

لِيُحدِثُنا بكل صدرٍ رحب ويقول: «أنا هُنا».

***

ما بين الخيال والواقع

في الواقع حياتنا أشبهُ بالأفلام.

تكون بدايتهُ سعيدة، نُقدِم عليها ونحن نألَفُ الوضع ونُحبهُ، نُدمن البدايات مثلما عهدنا، الكلام، الوعود، والحب الذي يُبنى ويندفع في بدايته، وكل شيء.

أن لحظة البدايات مشوقة للغاية، نتمنى الوقوف عندها وكأنها الشيء الوحيد المميز والمبهر في درب العلاقة السعيدة.

هى نقطة؛ فقط نقطة! ومن ثَمَ نحب التفاصيل ولحظات الاهتمام المُداعاه بعدها..

حسنًا، من هنا إلى هناك يمُر الوقت وهكذا يبدو الحال على ما هو عليه، إلى أن تكون النهاية حتمًا على غير ما نحب.

لا أفضل النهايات التعيسة؛ التي تكون بموت إحدى البطليين أو عدم مناسبة أولهِ مع آخره، أو على غير العادة يكون مختلفًا في طريقة سرده، ولكن يكون مشوقًا بعض الشيء، نميل لبعض التغيرات المُفأجِئة، القرارت السريعة، التمرد على أشياء قد ألتزامنا فيها الصراط المستقيم!

وإذا نظرنا إلى الأفق، نجده مُر بل هو أمر، حقًا هو واقع متداول بيننا، نخشاهُ

ولكن لا فرار منه، وكأننا نكرر المشهد كل يوم ليس هبًا هكذا... ولكن لِيَصل إليك بفكرة محددة فيكون الطرفين في حالة رضا متبادل سواء كان المشهد يقبله عقلكَ أم يرفضه!

ولكن ثَمَ فرقٌ بسيط..

أن الفيلم ساعتين ينتهي بمجرد عبور تلك الساعتين وبكل سهولةٍ ويُسر، ولكن العمر ليس بساعتين! العمر فيه من الساعتين ما بين السماء والأرض، وتلك الساعتين هي نقطة في بحرٍ لوچي.

فإنتهاء دور البطل مع البطلة مُفعم بالإداء في تمثيله وحضوره، وما خُفيٰ خلف الكاميرات كان أعظم بالحقيقة.

-هي كلها علاقة الجزئية بالكلية- رُبما، ولكن ما نحنُ في صددِ شيءٍ إلا السكوت والإنصات ونطلق التفكير لكلمة «ماذا بعد ذلك؟ وماذا سيحدث؟» ..لله الواحد الأحد.

فحياة البطل في كَنفِ المخرج البسيط -في خلقهِ لواقع فيلمه- وحياتُنا نَحن في يدي الرب الأعظم الذي لا شريك له.

وانتهيت.

فوبيا التعلق

لمَ التعلق مؤلم يا جدتي؟ لمَ عندما يَرون أحسَنُنا فقط، يُدَهمون بالحكم علينا باكرًا، لمَ نهرب من الحب إذا وقعنا يا جدتي؟، لمَ نشعر أن برغم كل هذة المشاعر قلوبنا تخشى الفراق -وكأنها تلؤمنا- تُسيء لنا ومن ثَمَ نُسيء لهم.

أجبيني يا جدتي فأنا لم أعُد أحتمل متاهة الفكر تلك؟

_يا بُنتي؛ اصبري، فأنه لم يَحِن موعد لقاء قلبك بما كتبه الله لك، يرون فقط المظهر والجسد ويتركون أهم ما في الحب، وهي لحظات الحب الأولى، تلك الوليدة المحدثة في القلب، لم يتقنوا بَعد ما هو الحب، وما علاقته بالتضحية، لم يرزقك الله بَعد بَمن هو آمان قلبك ومنتصفه، كل هذا حَبيبتي يأتي في خاطرك فيُضعف بداية لحظات الحب، ليتحول بكل قوة إلى خوف، تشعرين بكل لذاتِ حبك ولكن أحساس خوفك يَغلبُه، لم تَكُن اللحظة الأولى المطمئنة لكِ، إذا ما أحسَستِ قلبك بتلك الخطفة الأولى فأنكِ لا تفهمين ما هو الحب بعد، اسمعي يا بُنَيتي، اتركيهم مثلما أتوا يَعودوا، اتركيهم يذهبون فأنهم هراء. مهما تدَّاعى بأنه سوف يأتي لكِ من السماء نجمة، فهي فقط البداية، يستلذون

بكل ما هو جديد ليذهبوا روحه، ليطفئوا بريقه، أنهم هراءُ يا ابنتي واذكري كلام جدتكِ جيدًا.

كانوا لا يستحقونك فابعدهم الله عنكِ..

رزقكِ الله الخير يا ابنتي ورزقكِ بتلك النبضة التي تعم بالحياة، وتُنير بالسعادة، جعله الله لكِ من معشر الذكور رجلاً يخشى الله فيكِ ويكون نصف قلبك الآخر.

***

الوحدة

« لا تقلق عليّ فأنا بخير..».

هكذا قال، ادَّعى بأنه بخير ولكن واقعهُ يختلف.

شخصٌ يُعاني من الوحدة، لا يملك سوى جدران حائطه ليتحدث معه، يُمسي وحيدًا ويضحى كهذا -ولتكرار يومه- أصبح لا صديق له ولا قريب، يقول: «لمَ تشفقون عليّ الآن وعندما كنت معكم تركتوني؟، أم تغفرون ذنبكم ليّ عند اِحتياجي لكم ولم أجِد سوى وحدتي!».

هو فقط يتحدث مع ظِلهُ الذي لا سبيل ولا ملجأ له غيره، يظنوه مجنونًا، أي: أن لمرض وحدته أثرٌ كامل على عقله، ولكنها الظروف سيدي الفاضل، الظروف والبُعد هى من تجعل الناس وحيدةً حتى بِلا أنفُسهم، كمقولة: «كنا بخير لولا وجود الآخرين».

صمت برهةً وقال مجددًا:

«وحدتي هي ونسي يا سيدي، وظِلي هو الصديق ليّ، هما فقط عندما أتحدث يظلان ينصتا إليّ، يفهمان واقع حديثي وحالي، أنا بخير، لستُ أُعاني من

المرض النفسي ولكن أُعاني من كوني وحيدًا، لستُ مريضًا ولكنني وحيد..».

وتظل هذة الكلمة هي فقط ما ينطق بها، ويبقى حينها وحيدًا حتمًا، ليغيب عنه من زارهُ ومن عالجه ويأتي ظله مجددًا ليحدثه.

وبعد سماع قصته سوف أقول لك عزيزي المُتلقي:

«لا تقلق عليه فإنه بخير..».

***

كُن مُنصفًا سيدي القاضي

وقفت في المحكمة العُليا للقضاء وكانوا قد أتهمُها بالظلم، ولم ترَ شخصًا واقفًا ساندًا لها وبجانبها، فأجهشت بالبكاء قائلة:_

يا سيدي؛ لمَ لا ترى الناس ما نفعله؟، لمَ دائمًا نشعُر بتجاهل الآخرين لنا؟، لمَ ترمون عليّ خيوط الظلم والشك ولا تعلمون ماذا فعلتُ أنا لأنال رضاكم؟ لمَ القضاء ليس بعدلٍ معي هذة المرة؟..

أقسمُ أن يداي مَجرُحتان وما زلتُ أتشبثُ بما أفعله لهم، قلبي بالحزنِ يحترق وما زلتُ أقيد لهم شموع السعادة، قوت يومي وهو الطعام وكان يُكفيني وحدي ولكن أُجاهد أن أُقاسمُه مع من أحب.

لمَ لا يرى العالم حزني ويتهمني بالسعادة؟، لمَ ترون ما أفعله لا شيء وهو في الحقيقة كل شيء!.

أكاد أموت وجعًا من اِهتهامَتكم الباطلة، يكاد قلبي ينفطر بتجاهلكم لمَ أفعل وأن أكثرت فأنا في نظركم لا شيء، لمَ يراني العالم بعينه فقط ولا يراه حبه بقلبي!

أنا فقيرة يا سيدي؛ فقيرة المكان، والملبس، والدواء، والطعام، والأصدقاء..

أغنناني الله برجلٍ رأيته الدنيا ولم يراني قط، أشعلت له أصابعي العشر شمعًا وجل ما نظر له لمَ التكلفة؟، ألدينا من المال ما يكفي لأطيّب حرج يداك!.. غبيّة.

غبيّة!، يراني غبيّة يا سيدي وما فعلي إلا لرؤيته سعيدًا، لمَ يعاملني العالم بهذة القسوة، وأنا وأن كان ربيع عمري نيفُ العشرين إلا أنني ما زلتُ طفلة، أريد من يقول لي دومًا أنني أحبك وأنك تعنين لي الكثير ويحاول أن يُطمئنُني ويضمني!

لم تلقوْن عليّ حبال الظلم بفعلي ولا ترون لمَ وبأي شأن فعلت كذا؟.

وهل تكتثرون؟.

لا، ورب محمدٍ سأظل أثرثر هنا ولكن نهايتي السجن! ظلم القلب والمشاعر وعدم إعطائي حقي في المعاملة هو أكبر سجن لي، هو الحبس كما يجب أن يكون، هو المعاناه والبكاء الذي وأن ظللُت أجهشه أمامكم لا تعطون لبالكم من أهمية، فاضرب بحكمك عليّ سيدي القاضي فأنا لم أعد أهتم!

أن ذبحة قلبي بفارقهم سَتظلُ تؤلمني عمرًا أفكر فيه في حبسي، القي بحكمك يا سيدي فأنا الآن أمامكم ميِّتة الفؤاد..

ولكن الرحمة! الرحمة يا سيدي.

وتمت الجلسة بعدم انتباه القاضي لها وعدم انتباه أحدٍ لها -كعادتها، ورأوها ظالمة حتى وأن لم تفعل أي شيء.

يقولون أن المُتألم عندما يُبوح عن وجعه يُبدع في إظهارهِ، بحيث تصل لك كلماتي على هيئة ندابات صغيرة كادت أن تخترق جدار قلبك لتسكُن!، وكيف أبوح عنها؟

كيف أصف لك تجسيد كلماتي الهاربة، كيف أصف لك اهتزاز قلمي عند الخط به؟، كيف أُهيء لك حالتي النفسية التي أعيشها بصفاءِ ذهن وترتيبٍ مُحكم، لا أستطيع الكتابة، لا أستطيع أن أجعل نصوصي تجذبك نحوي، لا أستطيع أن أجعلها تَعبُر إحكام روحك وقلبك المُنغلقان، لا أستطيع أن أجعل سردي كصورةٍ مجسدة تجول في خاطرك، وكيف بسردي!، هل هو مُتناسقٌ سلس الوصول؟، لا أعلم أيضًا من أين أتت كل تلك الكلمات لأكتب بها، هل تشفقُ على حالي فأتت لمُعانقتي!، هل تسمع صريخ قلبي الصامت، آنين

روحي المضطربة، هل تعيش في عالمٍ مليءٍ بالضجيج الداخلي فحاولت بأن تهرب فزعةً من هول ما رأت!، لا أعلم.. أنا لا أعلم.

الحُزن يسود قلبي، يسكُنه، لقد أصبح سيدًا الآن، لقد تويجَ على العرش ليتحكم، كنت أتمنى أن أُبوح عن حُزني بشكلٍ يليق بمقامه، أردتُ أن أبوح لك بحالتي يا سيدي ولكن.. لقد فشلت أيضًا في جعل كل هذة الكلماتِ نصًا تسترق له روحك ويأنس بهِ وجدانك، حاولت التعبير ولكن فشلت.

فحاولت الكتابة بأن تشفق عليّ لتهدأ روحي، ولكن أبكتني.

فإليكم بعض ما يُمر بهِ الإنسان حينما يتبدل حاله من الفرح إلى الحُزن، بعض الحالات الواقعية، والمشاعر الأكثر وجودًا في قلبِ كلِ شخص..

***

نِسيانُك لم يَكُن صعبًا

لقد تَجاوزتُك.

نعم، تجاوزت كل شيءٍ اُضطُر قلبي للاخضاع لك ولسلطة حُبك، تجاوزت استسلامي وحنيني إليك، تجاوزتُ فكرة أنك لم تَعُد لي ولا أكون أنا إلا بك، تجاوزت هُجرانك وبُعدكَ عني بالأيام والساعات التي كانت تنقضي كبركانٍ في قلبي، تجاوزت انتظاري لك ليلاً لتُمنّ أنت عليّ في وقتٍ متأخرٍ من الليل بعد مئة رسالةً مني إليك، لتقول لي: «لا تقلقي أنا بخير»!.

تجاوزت تلك الطفلة التي كانت تَسعد بك وبكلامك وبِاهتمامك اليومي لها، التي كانت تشبثُ في حبك، تجاوزت الآبنة أباها يا عزيزي، تجاوزت قلبي ومشاعري وعدم نومي بأن هناك أملاً ما بأنك سوف تعود كمان كنت يومًا الآن وبكل ما أُتيتُ من قوة أقُل: «لقد تجاوزتك يا سكين القلب _ فيما عهدك_ يا وريد الحياة، يا شغفي وحبي وحياتي وإتزاني، لقد تجاوزت حبك المُميت يا عزيزي».

وما حال قلبي بعد أن تجاوزتك!، فلله وبالله، وما لقلبي من سيطرةٍ عليّ ولا كلام.

فالله أسأل، أن يَمُن بفضله عليّ وبلطفه على قلبي، كما منّ عليّ بأولى خطواتي التي لم تَعُد لك..

وهي بُعدك عني وتجاوزي إياك..

فكما وصف الله تعالى فؤاد أم موسى بالفراغ بعد أن فقدت أعز ما تملك، أحسَسْت شعورها آنذاك، فاللهم فراغ قلبي الدائم من ثمل حبهِ المُزيف.

***

أحتاجُ مُساندتُك

حتى في حالاتِ ضعفنا نكادُ نطلب من العالم بأكنفهِ البقاء بجوارنا، مُلامسة ذلك الآنين الصاخب، سماع صوت هذا الضعف والوهن.

حتى في أشد حالاتنا إرهاقًا، نريد من يُعاملُنا كالدُمى، يحتضِنُنا من حينٍ إلى آخر.. نكذب عندما نقول دَعونا بمفردنا لا حاجة لنا ببقائكم، نكذب في كل شيء، فنحن في كبر هذا العالم، نطلب فقط ذلك الكتفِ الذي عندما إذا احتجنا أن نميل نجده ليستقِم به أسَاسُنا من جديد.

***

من رسائلي

في تمام الساعة السادسة صباح اليوم.

كتبت رسالتي: « العالم مرهق جدًا، لم تعُد الأشجار تثمر مثل ما أراها كل يوم، لم يعُد أحد يبتسمُ لي، لم تُنِر الشمس اليوم مثل عادتها، كل شيءٍ أصبح باهتٌ وداكن اللون كسواد الليل الشديد، لم أع في أي شهر نحن، ولمَ لم أعد أرى الأشياء على طبيعتها؟، لا أدري.. أوقف الكون عن دورانه؟، أجفت بحار الكون؟، لم أفهم ماذا حدث!.

أرى الدنيا بغير اللون الذي اعتدته، الضوضاء شديدة الصخب اليوم، هاجرت العصافير ولم أسمع لها آنين، لم يتطرب لها أذني، ماذا حدث؟

لمَ كل شيءٍ مختلف؟،

رُبما لم يحدثُني، أو رُبما لم أعُد أهتم به!.

***

كلماتٍ في وصفِ ما نريد محبته

في نهاية اليوم أريد أن يَحتضِنُني أحدهم، يُربت على كتفي ويخبرني أنني بخير، يعلم أن حدودهُ الصغيرة هي موطني الذي أسكن إليه، يُظهر إشراق شمسه عليّ بعد ظلام يومي الدامس ومُره، يخلق الشغف والكلام بيننا _مثل طفل يتحدث لأول مرة بثرثرةٍ مستمرة ليس بكافٍ عن الكلام أبدا _، يُظهر ثنايا حبه ليزهر بها في قلبي، يشعرني أن الله خلق قلبًا واحدًا في آثنان، وأن تكامل لونيّ الأسود والأبيض ليس فقط الوحيدين المُتكاملين في حُبهما لبعضهما.

قلبًا كقلب أبي، وحنانًا كأمي، واحتواءً كصديقتي، وخوفًا كقلب أخي.

يقول لي: « أن الله خلق النجوم لأراها، وخلق القمر واحدًا فَيُشابهني به، وخلقكِ أيضًا لتكملي نواقص حياتي، وأن عتمة حياته أضاءت بنور حبي ووجودي، وأن قلبي يشبه دفيء الشتاء في لياليهِ شديدة البرودة، لا شك بأن الله واحد لا مثيل له، وأنه لم يخلق لكِ ندًا ولا شبيه».

يجعل ضيق صدري، المتسع الأعظم لحبه، يلبس أركاني لباس الفكر به وبحبهِ طيلة حياتي، وأن خَلق الله لي بعد عبادتي له الواحد الأحد، أمرٌ يستحق الأعجاز والتدبر!

لذا أقل..

ليخبرني أحدكم بربكم ما هو الحب الذي نراهُ يدق شوارع المدينة وكأنه الحياة ولا حياة بعده؟

***

أسيرةٌ حبك

تُحاصرُني أفكاري، ولا أعلم أفكاري فقط، أم هو صاحب هذة الضجة بداخلي!.

ألن تنفك عن هروبك مني؟، إلى متى ستَظل مقيدًا بفكري، أذهب إلى هنا وهناك وأمُارس يومي بشكلٍ جديّ وجميل ولكنك، لكنك أسير عقلي! تُثير الجدل بي، مهما بدوت وحاولت القيام بأمورٌ عدة لمحاولة نسيانَك فشلت!، وإلى متى سأظل أفشل هكذا؟، متى أنجحُ في مُجازوتك!

فلقد فقد عقلي لُب عقله ولم يَعُد له سواك من كثر تفكيره بك، لم يَعُد يملأه ويَشغَل بالي إلاك! أصبح عقلي ووجوداني بل كياني جميعهُ كصحراءٍ فارغة ومن كثرة فراغها يُحلق الطير بها بحثًا عن ماءٍ أو حتى سراب ليشرب منه!، أوصل لك تعبير حالي؟، كل هذا وأنت بي، بداخلي، متواجد لا تحاول الفرار ولا الخروج، وكأنك أقسمت على البقاء بي مهما بدى الحال، أصبحت أنا تلك الصحراء الفارغة وأنت من يتواجد فقط بها! أصبحت حياتي هكذا، واسعة وكبيرة ولكن لا مالك لها إلاك، رَغم كِبر هذة الصحراء، إلا أنني لا أرى غيرك عَابرُ، فهذة الصورة المُجسدة الصغيرة هي حالي! هي حياتي

التي رَغم ما فيها من الكثير، إلا أنها مقيدةٌ بك وبوجودك، أسيرة حُبك، أُفني ساعاتي على ما أفعله وبداخلي تُشاركني، لا تنفك عن فكري أبدًا، ملتصق بي وبكياني كُله، أفكر بك، فقط بك وما عدتُ أهتم لأي شيءٍ آخر، فمتى الفرار من حالي، أو متى يَحينُ الفرارُ منك!.

***

أنت ليّ

ليتكَ تدرك مدى تعلقي بك، ليتكَ تفهم ما يُعانيه قلبي في غيابك، ليتكَ تعني مدى عمق كلمة أنني باحتياجك، ولتُدَدق كم مرة طلبت في مناجاتي لك بالتمنى، أما آن لقلبك أن يفيق ويستفيق من تلك الوهم الذي وحلت نفسك به؟، تقول أنك وحدك!، ولكنك لستَ وحيدًا أبدًا، فالعين بالعين والسن بالسن وأنا بك وأنت لي، وهذا حكمٌ أبدي.

***

المحب لا يرحل يا عزيزي

ماذا لو عاد معتذرًا؟.

واللهِ إنه لاطال انتِظارُك بالعودة، زاد جفىٰ مشاعرك وتركت كل الوعود التي أقسمنا بها منذُ يومنا بعدم الفراق، أصبحنا نَصوم اليوم تعويضًا لأجل خَنثِها، لا ملامة عليه ولا عتاب، فإذا رجعت وفي خاطرك أنني بانتظارك، فارجع كما كنت، الآن أُباشر رحلتي بدونك، نعم تأذيتُ كثيرًا، وهُلكت من فرط حبي بك، زاد وجعي على رحيلك، ولكنني الآن بصلب قلبي أتحدث، ولو جَددتَ القسم بأنك تغيرت من هنا إلى ما بقى لك من الأيام فلن أعود!، فإن ندبة قلبي التي زرعتُها به لم تكن هينة لِتغفر لك، مشاعري ليست بِدُمىٰ تريد الرحيل عنها كما شئت، إنه قلبي! قلبي الذي لم يُحب أحدًا غيرك..

ولأجل مجيئك هذا، سوف أُصافحك، ولكن ليس باليّد ستتصافح يدي بوجهك بقوة، لأشهدك أن تلك الضربة المُفأجِئة، القوية، التي تراها بجانبِ وجهك، كانت بقلبي!.

وشتان الفرق بينهما..

لمَ استقبل حفل رجوعك بلُطفٍ؟ وأنت الذي كنت تُقسم بالبقاء طيلة حياتك، وأن مجيئي أعطى لروحك الرونق الذي تتمناه وتريده، فمَ الذي تَبَدل!

لذا..

لا أريد رجوعك البتة، بعد كل ما فعلته بي وبقلبي وتركتني أُواجهه الحياة وحدي بعد ما كنت سببًا فيها، تركتني بدونِ سابق إنذار ورحلت، وفي ذهني ملايين التساؤلات التي وضعتُها بي، تركتني مثل أرضٍ بور بعد ما كانت تُنبتُ أشهى الثمار بارتِواء حُبك لها، تركت أثر حرجك يتغلغل في قلبي بعد ما كان حبًا لا غير، ومن ثَمَ تريد أن تعود! بأي وجه تقول لي هذا وبأي شعور تملكه لتدرك فعلتك!، اعلم أن المحب لا يرحل أبدًا يا عزيزي.

***

متى نحتَسُ بالوحدة

«سبعين مليار وأنا في وحدة..».

جملة لا تكثُر عن السطر، سُردت بكل بساطةٍ وشجن، راقتني طريقة التعبير، ولكن...

فلنترك التعبير هَهُنا ونُشدد على الأداء، لمَ يَحتَسُ المرءُ بالوحدة!

هل لها طقوسٍ خاصة؟، هل لها توقيت ذُكر من قبل؟، هل جاءت لسببٍ أم أصبحت هكذا!..

الوحدة شعور يتكاثر بأشياءٍ عدة، لا حصر لها إذا وددت الإنصاف، يمتليء الإنسان بالحزن، التقلب، ما تصفعه بهِ من الدنيا، الخذلان، الفراغ، الاكتئاب... إلخ.

كل هذا وأكثر يؤدي إلى أن الشخص الذي ظل يضحك وكانت روحه تملأ المكان بالضجة والسرور هُلكت!.

أصبحت ساكنة، مجرد دُمى فُرض عليها اللعب والسير دون حملِها لحالها،

لذا يلجأ الكثير والكثير إلى الوحدة، لأن ما يراهُ في عالمهِ -الواقعي- الآخر، مُرهق، بل هو من يُفرض عليك بعض الشيء الخروج عن المألوف لتسكن ويسكن جَسدُك ويستريح، فالنفس عليك حق، مثلما تريد أن تهدأ هي أيضًا تريد أن تسكن! والوحدة عزيزي القاريء هي أقصىٰ مراحل التعب، ننتقل من زحام الواقع، إلى هدوء النفس، نذهبُ من قسوة المعيشة، إلى أن نجد السكينة في المعيشة الأخرىٰ، نعم تحركٌ من حياة لحياة أخرىٰ، بعد أن عانت النفس وساءت الروح، فلهما حق الاستيعادة من جديد، لهما حق في أن تجعل روحك وقلبك في أقل درجة من الضجيج، وكأنك تجعل هاتفك على وضع الصامت، هكذا روحك. هو الهروب؛ بأنك لم تلق راحتك في يومك وحياتك، أو أنما تعرضت لسببٍ أو خذلان اضطُر قلبك للبُعد لتسترجع قُوىٰ عقلك وجسدك من جديد، فتهرب من الدنيا، بل تكادُ تهرب من نفسك التي باتت مريضة بالألم لتجد الأخرىٰ صافية الذهن والبال، أو أنك بالحتم منذُ البداية وحيد لا وطن لك غير موطنك الحقيقيّ، فقط لا غير..

فالوحدة سكون؛ والسكون لا يأتي إلا بعدما تَعش الحياة بواقعها فترفعُك وتكسرك وأحيانًا تَضُمك، فعندها بعد ما لاقيت ما لم تريدهُ، تريد أنت أن تَسكن ولم تُعطيك هي هذا الحق؛ لذا تُفضل بابتعادك لتهدأ وتعِش من جديد كما تريدُ أنت.

يَومَ رَحِيْلِك

أتتذكرين!.

أتتذكرين كم مرةً جئنا إلى هنا وأصبح مكانَنا المفضل، أتتذكرين كم عَهدنا بعضنا البعض وأخذنا القسم لبعضنا بأن لا ننفك إلى آثنين مجددًا!، أتتذكرين كم من المواقف والصور أخذنا، وكم من أغاني سَمعنا، أتتذكرين!.

أُخاطبكِ مِن مكان ولادة حبنا بأنه أصبح مكان فُراقنا أيضًا، أُخاطبكِ من مَكانِنا المفضل بأن بِتُ وحيدًا من غيرك، بِتُ الجسد الذي انفصل عنه رَوحَهُ، فذكراكِ فقط هي مَن تجعلُني حيًا، بِتُ فقيرًا إلى وجود كنزكِ الذي لا عوض عنه ولا مثيل، بِتُ أرىَ طيف أثرُكِ الطيَّب في أرجاء مكاني، أرى صورتكِ تنعكس على مياه البحر الذي عندما كنتِ تخافين منه تتشبثي بِكتفي، أرى صُورتنا عندما تقع عيّناي في المياه، وكأنها تُحدثني عن ما مَر وتذكرني بك، فأنها تعلَمُ بوحدتي وحالي وتؤانِسُني أيضًا، فأنا منذُ فراقنا وأنا دائم الوجود هَهُنا، أتذكر كل ليلة وما بها من أثر ضحكاتك المتعالية على قلبي، وحضن عيناكِ وما بهما من حنين ابنة تنظر لأباها، جنونك الطفولي وكثرة ثرثرتك التي يعقُبها صمتي والنظر إليكِ، فأنا معلقٌ بذكراكِ و أثر هذا الفراق، فمتى

يحين ظهوركِ من جديد؟، متى يحين موعد فتح عينيكِ وعدم الاختباء فأن قد انتهت اللعبة؟، متى يحين رجوعك لتُزهري رُوحي برؤيتك من جديد؟، أضَللتِ طَريقُكِ يا عزيزتي فهلا ترجعين إلى بدايَتُك؟.

***

الوتر الباكي

كانت تعزفُ بشجن، كانت أوتار عشقها المؤلمة تُناديني، كان لحنها حزين بمزيج عاشقةٍ مكسورة، مُقيدةٌ ما بين عشقها وحُزنَها، بأن ليس لها غير أوتار كمانجتُها التي ينصت لها الأصم.

***

كيف أبدو لك؟

صراع؛ أعيشُ في صراع دائم ما بين السكون والضجيج والألم الداخلي الذي يُصيبني، والوجه الضاحك البشوش الذي أُظهره.

أواجهة العالم بوجهين، ذلك الوجهة الذي لا يجوز أن نُظهر غيره، فلا أحد يعلم خبايا روحي المهلكة، وآنين قلبي وسجنه المعتم، وبين ذاك السجن الذي اقحمت نفسي به، وضعت نفسي بنفسي في ذلك القضبان التي لا مفر منها ولا هروب..

فما الحلُ إذا!، لا أعلم، ولكن هذا الوجه المُخادع للجميع والذي ليس لي سواه، يحبونه، يرون أنني تلك الفتاة القوية القادرة على مواجهة كل هذا الحزن والصمود أمامَ كل هذا التعبِ والمرض.

يا الله!

تتحدثون عني؟، وأنا التي أود أن أهرب من سجن نفسي، الهروب مني ومن خوفي وهوس مرضي الساكن بداخلي، أذهب إلى هنا وهناك بكل حرية، ولكن عندما أعود لنفسي أجِد أنني عند تلك النقطة من الوقوف وعدم الحرية

والتقدم، تمامًا مثل ما ذهبت وعُدْتُ، أصبح حال وجهي في ابتسامة دائمة، ولكن قلبي بحالهِ أقسمَ على البقاء هكذا، فلكم ما تروه مني بكل رفاهيةٍ وخير، واتركوا لي ما بقلبي وما يحويه سجني الخاص الذي لا يُلامسه أحدًا غيري.

***

الخذلان

«راهنتُ على بقائها، ولكن جُل ما فعلته بي، أنها قتلتني حيًا...».

هكذا قال رجلٌ بعد أن اكتشف ما فعلته به زوجته، هكذا عبر عن وجعهِ بطعنَتِها له، بحبهِ الذي دام عمرًا والتي لم تَصُنه هي، كانت تحبه وتريد البقاء معه -في ظاهر أمرها- ولكن في الباطن تغير مسار فكرُها بعد كثير، بين ليلةٍ وضحاها، بأنها تشتكي وتَتدَّعي بأنها أصبحت لا تحبه، ولا تريد وجوده أيضًا، بل وسئمت من جهلهِ بمعرفته بأمورها تمامَ المعرفة، وبالمقابل كان كل أمرهِ هو أن يصنع لها أشهى الطعام وبأرقى الطرق، لتضعَ سُم خيانتِها فيه!، يأتي لها بأبهى الثياب والحُلي ويُبدي لها بحبه، وما لها غير أن تُشيح بوجهها عنه وتأبىٰ البقاء معه، بأن مَلت ولم يَعُد مثلما كان وبأنه تغير!، تَجِد مئة مُبررٍ لفعلتِها الخسيسة، وفي المقابل يُحاول هو وبشتى الطرق أن يُلبسها لباس حبه وشغفه، وما كل فعلتها إلا أن تُظهر له حدة سيفها وخيانتِها له بطعنةٍ مُفأجئة بظهرهِ وبأسوء الطرق..

هكذا حكى قصته عن خيانة أحب الناس إلى قلبه، وبأنه لم يَمُت بحزنه على ذهابها قدر ما مات بحزنه على فعلتها بهِ، بعد ما ادَّعت بأنها تُحبه حبًا لم يظهر على أحدًا مثلّها من قبل..

وصمت باكيًا.

***

الصراع الداخلي

كلٌ منّا ممتليءٌ بالضباب، ممتليءٌ بفوبيا التعلق ومن ثَمَ الخذلان، شخصٌ ظلّت حياته مُضيئة، يَطلُع عليها النهار، مسالمٌ لنفسه ولحاله، ومن ثَمَ تتغير حياته رأسًا على عقب، تميل بهِ الدنيا كأنه لم يرَ في حياته يومًا جميلاً، يُصبح يُعاني من الفوبيا الداخلية، يَظل يُصارع حياته تصراع الثيران بكُرهَها للون الأحمر، متاهة داخلية تأتي لتحكم على عقله وفكرهِ باللعنة.

كانت حياته اعتيادية، بسيطة، غير مكلفةٍ لأمر أو سبب أو أيًا كان، هي فقط مسالِمة، فبات الأمر يختلف، فالشمس تشرق _ كعاداتها الكونية_ ولكنه يَبيّت كل يومٍ في ديجورٍ دامس، لا يرى سوى مرضه الخاص، لا يتحدث مع أحد ولا يذهبُ لأحد، فقط وحدته هى صديقته، ليتغذى عليها معتادً البُعد.

إن لله آياتٍ في خلقهِ -سبحانه جل شأنه- فأن كل ما يحدث هو فقط بداخله، فقط.

رزقهُ الله الثبات والقوة على التحمل، ولكن إذا نظرنا إلى بقاع قلبه نجده مُظلمًا، معتم كالقبر، فتالله لصراعهِ الهائل هذا نهاية، إما أن ينتهي منها هو

وينظر لبصيص الأمل الأتِ من بعيد، وإما أن تُنهيه عليه هي، وسيكون من الخاسرين في الدنيا لضياع نفسهِ وحاله، وظالم لنفسهِ مُبيين في لقائهِ الأخر.

***

فقدتُك! ولكنني لم أفقد حُبك

أتذكره جيدًا..

نعم، ذلك اليوم منذ زمنٍ بعيد، كانت الضربة الأولى لقلبي!

أتذكر أنني قُلت لك بأني أحبك، وأنك تكمل نواقص حياتي، وكل ما قبلك كان عبثًا وما بعدك لا حياة ثانيًا ولكن!..

ماذا فعلت؟

تركتني؛ لماذا ولأي سبب؟، لا أعلم!.

ولكنك سلبت مني روحي يبُعدك، وكأنك تَعرف كيف تجعلُني مُميتة ولكن على قيد الحياة!.

تركتني عارية الفؤاد بعد أن كان لباسُ حُبك محياي، غير قادرة على الاحتمال، على البعد، أتوسل إليك يوميًا على ما بدر مني من خطأ -لربما بدون قصد- لتعود أنت وبكل قسوة رزقك الله بها لتهب في قلبي مهب الريح، أتيت لتَقذفَ سهوم وجعك من جديد، لتهرب من مُر فعلتلك بمجرد عذر، عذرٍ

قبيح يشبه فعلتك الخسيسة.

وقلبي! هل فكرت به؟، هل أدركت أن حياتي تكمُن في وجودك وسلبتني أنت ذَلك الحق؟، هل فكرت في حياتي من بَعدِك؟

أم لبُعدك وقت ما تشاء سببًا، تُفتح بهِ أبواب المغفرة والسماح!،

وهل لهوسِ حبك من وقوف؟ لا.. لا.

أصبحت أزور كل الأماكن التي أجتمعنا بها لأشُم عطرك لعلي أراك!.

أرى صورنا وذكرياتها التي لم تنفك عني طيلة بُعدك، وأقل لعل بُعدهُ حلمًا طال مداه ولكنه أتٍ.

فمتى تأتي؟

لا حياة لي من بعدك يا ظليلي.

كل ما أفعله هو مراقبتك، تصافحي لك عبر جميع الوسائل والمواقع، أسأل الناس عنك وعن حالك، ليجبني أحدهم:

«نعم آنستي، إنه بأفضل حال لمَ تسألين؟».

يا الله!، بأفضل حال وماذا عني؟، ماذا عن تلك الوعود والقسم الذي قُلت أنك لن تَخنسهُ أبدًا!،

ماذا عن تفاصيلك التي لم أنساها؟

هبنًا! هل أصبح كل هذا سراب!، وحيّ!، ولا عودة له؟

فلقد تركتني وما لي بعدك من حالٍ ولا عافية، مجرد هواية، فتاة غير قادرةٍ على العيش والتعامل، عقلٌ يظل يفكر، وقلبًا مات إثرىٰ حدوث صدمة، جسدٌ مدفون ولو ادَّعى بإنه حيّ!.

لتأتي لحظات حنيني وحزني وتصاحبُها دموعي ليلاً معهم، وأتصفح حديثك معي وأقُل لك بكل ضعف:

«فأنا يا مُكمليّ ناقصة بلاك، فهلا أتيت؟».

***

لعنة الوحدة

«تيك توك، تيك توك».

هكذا ضَربت عقارب الساعة معلنةً الوحدة، ومن ثَم أعلنتُ الاستسلام لها بالكامل، سجنٌ أقحموني فيه وسجنٌ آخر صنعته بيدي لنفسي، ولكن سجني الداخليّ وحكمهم عليّ هو أصعب من ذلك المتواجد فيه، لا أعلم لمَ يفعلون بي هكذا؟، لمَ يلقون بي مُر ما راوهُ ويُحاكموني أنا!، لمَ يلقون ذمامَ أمري في بئرٍ شديدة الظلمة والبُعد؟، أسأظلُ أتساءل هكذا كمجنونٍ يحدثُ نفسه من أثر صدمته! لا، لن أفعل ذلك، لمْ أجن بَعْد، فأنا بتمام قواي العقلية، ولكن.. ولكنه الخُذلان، أقسم أن فعلتي ما كانت إلا لرؤيتهم بخير، وإلا لأرى سعادتهم تحوم الكون كلهُ، أُجاهد أنا في سبيل ضحكتهم التي تُنير ظلام قلبي الداكن، أُضيء لهم أصابعي العشر شمعًا لأُنير لهم دربهم الذي ظلوا يمشون بهِ وحدهم دون مُرافقتي، بدوني، أنا أتألم بوجودي في هذا السجن، أُعاني من ظلمهم المُعتاد لي، سجنهم الذي ألقوني به، ليس أعظم من سجني الخاص الذي وضعت نفسي فيه وليس هم، نعم، أنا من تركت نفسي في سجني الخاص، فَبوفائي المستمر لهم وتغاضيٰ فعلهم وأعمالهم التي تبني دائمًا

بداخلي أسوارًا وأسوار من البُعد وتسبب الأذى، أُعاني من فعلتي أكثر من تواجدي في سجنِ واقعهم الخسيس هذا، ولكن كما قال سيدنا يوسف عندما اتهمته امرأة العزيز بأنه هو من تَعدى عليها بفعل السوء والخزي، ولم يرَ وقوف العزيز معه، الذي تولى تربيته مُتبينًا إياه من صغره، ويعلم أن الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماء، قال: «قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ». (٣٣).

ولكي لا أكُن من الجاهلين سوف أتجنب رفقتهم والبُعد التام عنهم، لعلىٰ ذلك الأمر يُسعدهم ويتفهموا فعلتي، ويخرجوني من غياهب سجنهم هذا، وأُعالج أنا حبي الكبير ووفائي لهم أيضًا، بذاتي، وأخرج من سجني الذي وضعتني فيه.

ومن ثَمْ تُعاد تكرار صوت الساعة المُمل ذاك، ولكنه الوحيد الذي يُخاطِبُني في وحدتي هذة.

«تيك توك، تيك توك...» إلى ما لا نهاية لها، وبلا وقوف.

***

حلمٌ قُضِي عليه بالضياع!

منذُ أن كنتُ صغيرًا ووالدايّ هما من يراعاني، هكذا طبيعة العلاقة فأنهما والداي!، كنت لا أفقهُ شيئًا من أمور الدنيا، تقول أمي: إذا ذهبت إلى مدرستك لا تُصدر الضجيج وكُن حسنَ السلوك واخفض صوتك إذا تحدثت، ومالي إلا تلبية النداء بأن سمعًا وطاعة يا أمي. يقول أبي: بُني، سوف نذهب إلى بيتِ عمك فأحسن التصرف ولا تتحدث كثيرًا وإذا عزما عليك في بداية الأمر بالطعام فكُن مهذبًا وتعامل بذكاء، وأيضًا ألبي كلامه كسيفٍ على رقبتي فإنه أبي.

كبرتُ وظللتُ هكذا، افعل هذا ولا تفعل ذاك، اذهب بحذائكَ الأسود لأنه يليق ولا تذهب بهذا اللون من الحذاء البتة ولتتصرف كرجلٍ ناضج! -وحتى وإن كنت أريد الذهاب به وأحبه، ولكن أمي أمرت وهى أكبر وأوعى، إذًا فحسنًا- ..

أبي: قولت لك لا ذهاب لِلعبِ كورة القدم، اذهب لتنجز مُذاكرتك ولتكُن في كلية الطب والهندسة مثل أولاد عمك!.

من هنا إلى هناك ومثلما رأيتُ منهم من تنظيم لحياتي بهذا الوضع، أصبحا هما من يفكران لي في كل صغيرةٍ وكبيرة ولا رأي لي أبدًا، لستُ معترضًا فأنهما والداي وطاعتهما واجبة بل فُرضت عليّ ولكن... سوف أكمل فقط الآن.

كنتُ دائمًا منذُ صغري أتمنى أن أصبح رجلاً رياضيّ ومدربًا أيضًا، أحب الرياضة من صِغري لذا كان حلمي هو دخولي كلية التربية الرياضية، ولكن كان هذا حلمي أنا فقط، فأمي تُريدني أن أكون أفضل من بنات خالاتي الدَرِسات في كليات الصيدلية -فأي كلية مهما كنت ترغب بها كحلمٍ لك وتحقق بدون تقصيرٍ منك هي بذاتها كلية قمةً لك، أو قدر الله لك فاختارها فهي أيضًا تصبح قمةً بالنسبة لك- ولكن تقصد أمي هُنا بالقمة هي كلياتِ الطب، الهندسة، وكلية الصيدلية.. وما إلى شبه.

ولقد قرر أبي حتمًا بدخولي كلية الهندسة لأعمل معه في شركتهِ الخاصة مثل أخوايه، - لا أعلم لمَ يُجبرني على هذا- ولكن يقول: أخواتي وابنائهم ليسوا أفضل منك في شيء، وحالهم ليسَ أفضل من حالك، وسوف تدخل الهندسة وقُضى الأمر.

نعم أمر، وماذا عن حلمي وما أريده أنا، سرابًا!.

القهِ في سلة المهملات قولنا لك أما هذة الكلية أو ذاك فلا نقاش ثانيًا وانتهى الأمر.

حلمٌ قُضيٰ عليه من والداي بالفناء، والدي اللذان يظنان أنهما بفعلتِهما تلك يسعان لمصلحتي ولرفع شأني فيما بعد..

كنت أطيرُ بأحلامي لفوق، أسعى إليها منذُ صغري، رغم أوامِرهم عليّ، بأن لعلي أصبح ما أتمنى وأنهما سيتفهمان رغبتي الخاصة!.

ولكن ماذا فعلوا جعلوني أطيرُ وأطيرُ بارتفاع أكثر علو، ومن ثم إلى نهاية المطاف قالوا قف!. وقصوا لي أجنحتي وكسروا أحلامي وأمرا عليها بالهلاك!.

وبقوة الجملة المُتعادة: «نحنُ والداك وأدرى بمصلحتك».

مخطئان، وكأنهما يحققان فيّ حلمهما الذي قد رحل عنهما في سابق عهدِهما ولم يقوموا به، أو بمعنى أبلغ مثل ما فعل فيهما والدِهما.

قد صمت بحزنٍ شديد لأقُل لهما:

«سمعًا وطاعة والداي». فلا رأي بَعدكُما حتى وإن كنت رافضًا.

***

الوعد الأخير

أكتبُ إليك..

أكتبُ وأعلم أنه قد طال غيابي عنك يا عزيزي ولكن ما باليدِ حيلة، أخبرني كيف حالك ليطمئن حالي؟،

كيف لك بَعدي وبُعدي عنك يدمرني؟،

أحاول أن لا أصدق هُجرانك ليّ ولكن فشلت، كونك تمُلك وتسكُن ما صعب على الغير سَكنه أيا وهو "قلبي" فأقسم لك أنك كنت ككل شيءٍ يصعب التخلي عنه، أقول لك ولا أعلم لمَ أقُلها: قد ذبلتُ بعدك يا زهرة فؤادي..

أعلم أنه لا محال من عودتك إليّ وإلى مقرك وسَكنك.

لذا...

فاحذر الجو لِمرضك، وتناول أدويتك وذكر نفسك بساعتك الخاصة، ولا تنسَ أيضًا ارتداء ساعتك السوداء المفضلة لديك، ولتتم مبكرًا للذهاب إلى عملك ولا تحزن على تَأخُرك، تعلم يا عزيزي أن رئيس إدارتك لا يحب

التَأخُر، فالزَم مواعيدك كي لا يُزعجك أحدهم، وهذا غير مقبول في قاموس حبي..

وإذا أضحى اليوم عليك بمرهِ، فلتسمع أُغنيتُنا المفضلة لتتذكر ما كنت أفعل وقتها، فتضحك -وما أجمل ضحكتُك آنذاك- يعود العالم إلى إتزانه، بل تكاد الأرض تسكن عن دورانها..

أعلم أنك سوف ترى الكثير والكثير من اللآتي سوف تشعل نار الحب والغيرة التي لا مجال لها من الانطفاء، ولكن تفاصيلك الصغيرة هذة هي يومي، فيومي يَكمل بذكرياتنا التي كادت أن تنسجم مع بعضها البعض لِنَعش حياتنا فيما سبق عهده بيننا..

ولكن فالحمدلله على قدرهِ واختياره، فأنا يا وريدي لا أحملك فشل علاقتنا هذة رغم كل ما حدث، وفعل كل ما تحب وترضى إلا إنك معصومٍ منها..

أُحدثك وأعلم أنني أطلْت عليك الحديث ويكاد قلبي ينفطر لبعدك، أكاد اختنق..

جُل ما أريدهُ الآن هو خروجك مني ليس أكثر.

أحبك! رُبما، ولكن لا عودة.

شاء الله وأمر بفراقنا فمتى يشاء قلبي بنسيانك إذًا؟

أعتذر على ذبول رسالتي لك ولكن تنهمر دموعي كالسيل، وكأنهما ما صدقا البوح..

لدي الكثير من الكلام لأقوله ولكن بُعَادنا قد أمر قلبي بالخضوع له والصمت؛ لأن لا فائدة من الكلام الآن، فالصبر؛ الصبر كل الصبر لقلبٍ تُيم بوجودك وأصبح الآن منفردًا..

اعتني بنفسك يا عزيزي..

فالسلامُ لك ما دومت متوجدًا، والسلام لقلبي لروعة اشتياقه وآنين وجعه.

***

ثق بنفسك

«ليس كل قويٍ ضعيف، ولكن كل ضعيفٍ قوي»..

جملة كُتبت على جُدران بيتٍ هائلٍ للسقوط، ولكن ما يُساندهُ هي شجرة!

نعم شجرة، ليست بقوةِ المنزل الذي أُسند عليها، ولكن كانت له درعًا وقت ضعفه، فهي رغم ضَعفِها وقِلتها حاولت مساندته رغم أساس بُنيانه المتين..

الجملة لم تُكتب هباءً يا سيدي، ولكن مغزاها أنها أسلوبٍ لواقع نراهُ ونعيشه، فالقوة ليست بالماديات، ولكنها معنوية، بأنها قد تُعطى ببزخ وإفراط من شخصٍ قد تراهُ بعينك ضعيفًا للغاية ولكنه ليس كذلك.

فالقوة ليست فقط بالنفوذِ والمال والمظهر، فقد تكون بذاتك وشجاعتك، وشخصيتك، قد تكون منكسرًا أشد الانكسار، وبك وبداخلك ما لم يَرد على أحدٍ من قبل، بل قد تكون أشد المنكسرين، ولكن عندما ترى أحدًا باحتياجك تَلُب ندائهُ، عندما ترى شخصًا يبكي لقلة حيلته، تُعطيه أملاً بأن يَقِف ويواجه ما بهِ من الآلم، فهذة هي محض القوة رغم انكسار حالهِ وضعف قوته، إلا

أن ظهورهُ بوجههِ الضَحك وكلامه الثابت، يُظهر لك قواهُ الخارجية ولله ما بهِ..

وإذا تحدثنا عن الضعف، فلن يَسلمَ أحدٌ منه، نرى أيضًا من معه من مال، وقوة، وأشياء ما لها من نهاية.. ولكن ضعيف!.

ضعيف الصفاتِ والمواجهة والتحمُل.

يَخشى هذا، ويهاب من ذاك، يمتلك من الأرزاق جَميعُها ولكن ينظُر إلى غيره بنظرةِ الضعف والانكسار، يبدو عليه الحزن والوهن، ما بداخله يظهَرُ مباشرًا عليه، لم يمتلك القوة حتي ليُدافع عن نفسه، لا فقط عن غيره..

فالجملة كُتبت ولا نعلم أيًا منهما صمَّد وصَبر إلى أن وصل بهِ الحال إلى هُنا، وأيًا منهما بدى ضعيفًا منذُ نشأتهِ ولم يَعُد يحتمل فمال مع حال دُنياه، لا نعلم أيًا منهما يحتاجُ أكثر إلى المساندة على الآخر!

لذا.. فاترك التعبير يتغلغل إلى صميم قلبك، واترك العنان لفكرك بأن ينطلق ويَفهم ما تُعنيه مجردَ جملةٍ صغيرة.

وماذا لو قولت لك بأن:

«قابلني وقَبّلني وخُذ بِقبْلَتي، وأقبل قُبولي لك بكلِ حب، وقابل قلبي، ولا تَقْبر حبي، فبدونك قلبي في مقبرة».

***

الخاتمة

وفي النهاية أتمنى أن يكون قد نال طريقة سردي أعجابك، وأحبته روحك، ولامس كيانك، و أتمنى أن تكون خواطري قد شاركت يومك وحياتك، بل ولامست محتوى قلبك الساكن، وخاطبت نفسك بما تُريد قوله، أتمنى أن تكون كلماتي ذات تأثير خاص لك، وأن يكون منتهى روحك في مشاعر خواطري قد سَكن، إلى أن نلتقي مرة أُخرى بموضوعاتٍ جديدة، وأسلوبٌ مشوق، وحكايةٌ أُخرى ولن تنفك أبدًا عن قراءة كلماتي، ومُأنسة حروفي الخاصة بقلبك المُتألم..

فهذة نهايتي بكتابي ولكن ليست نهايتي بداخلك؛ لنَعُد مرةً أُخرى ولتقرأ ما يبوح له قلبك..

هَقد وصلنا إلى ما نريدُ إيصاله، إليك، وبداخلك..

والسلام.

إسرء حمدي

الفهرس

إهداء..... ٨

المقدمة..... ١٠

الإهتمام..... ١٢

الإحتواء..... ١٤

ما بين الخيال والواقع..... ١٥

فوبيا التعلق..... ١٧

الوحدة ١٩

كن منصفاً سيدي القاضي..... ٢١

نسيانك لم يكن صعباً ٢٥

أحتاج مساندتك..... ٢٧

من رسائلي..... ٢٨

كلمات في وصف ما نريد محبته..... ٢٩

اسيرة حبك..... ٣١

أنت لي..... ٣٣

المحب لا يرحل يا عزيزي..... ٣٤

متي نحتس بالوحدة..... ٣٦

يوم رحيلك..... ٣٨

الوتر الباكي..... ٤٠

كيف ابدو لك ٤١

الخذلان ٤٣
الصراع الداخلي..... ٤٥
فقدتك ! ولكني لم افقد حبك..... ٤٧
لعنة الوحدة ٥٠
حلم قضي عليه بالضياع ٥٢
الوعد الأخير..... ٥٥
ثق بنفسك..... ٥٨
الخاتمة..... ٦١